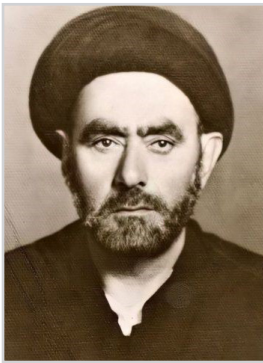


علماء وأعلام

السيد

هاشم معروف الحسني ﷈



السيد هاشم بن السيد معروف الحسني، (١٩١٩_١٩٨٤ م) عالم وباحث ومؤرخ لبناني في القرن العشرين الميلادي.
لقد ترك السيد هاشم مؤلفات كثيرة، فيها نظرة بحثية حديثة، بعيدة عن التعصبات في العلوم الدينية. من أشهر مؤلفاته سيرة الأئمة الاثني عشر وسيرة المصطفى.

السيرة الذاتية

لا توجد معلومات كثيرة عن حياة الحسني. ولكن بحسب المصادر إنه قد ولد سنة ١٩١٩ م في قرية جناتا من نواحي صور جنوبي لبنان في منطقة جبل عامل.

أكمل السيد هاشم، دراسته الابتدائية عند أبيه السيد معروف الذي كان من العلماء آنذاك، ومن ثم انتقل إلى النجف ليكمل دراسة العلوم الدينية. ولقد تتلمذ في هذه المدينة على يد السيد أبي القاسم الخوئي. ومن ثم عاد إلى لبنان سنة ١٩٢٢ م وتسلم منصب القضاء في جبل عامل. وأخيرا توفي الحسني سنة ١٩٨٤ م.

المؤلفات

للسيد هاشم مؤلفات كثيرة، وترجمت بعضها إلى لغات عدة منها الفارسية. من أهم سمات مؤلفات هاشم معروف هي أنه ينظر فيها نظرة علمية وبحثية إلى الموضوعات، ويدع النقل والتجميع الصرف. فكان له طموح وشجاعة واستقامة خاصة في البحوث العلمية، فلم يخش لومة لائم، إضافة إلى أنه كان يبتعد عن التعصب والتطرف.

مؤلفات السيد هاشم في موضوعات عدة، منها في الفقه والتاريخ والفرق وسيرة الأئمة والحديث، منها:

- عقيدة الشيعة الإمامية
- الحديث والمحدثون
- تاريخ الفقه الجعفري
- بين التصوف والتشيع
- أحكام المفلس والتججير عليه
- الولاية والشفعة
- الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة
- الانتفاضات الشيعية عبر التاريخ
- سيرة المصطفى
- سيرة الأئمة الاثني عشر
- أصول التشيع عرض ودراسة
- دراسات في الحديث والمحدثين
- الوصاية والأوقاف وإرث الزوجة والعلول والتعصيب من الأحوال الشخصية
- من وحي الثورة الحسينية
- دراسات في الصحيح البخاري والكافي للكليني.
- الموضوعات في الآثار والأخبار

■ **الأصول التي انفردت بها المعتزلة**
يقول أبو الحسين البصري: "وليس يستحق أحد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة: التوحيد والعدل والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا اكتملت في الإنسان هذه الخصال فهو معتزلي".

وحيث أن الإمامية وأغلب المعتزلة متفقون في أصل التوحيد، وخصوصاً في مسألة أصفات الإلهية، وكذلك في أصل التوحيد عموماً، باستثناء بعض مسائله، لذا علينا بيان رأيهم في أصول مذهبهم الأخرى، وهي الوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: فالوعد والوعيد تعتبره المعتزلة أصلا من أصول مذهبها، في حين أن الإمامية - ومنهم المرتضى - لا تعتبره أصلا، بل إنها تخالفهم من خلال إنكارها للوعيد. أما المنزلة بين المنزلتين فهو الأصل الثاني الذي انفردت به المعتزلة، فهي ترى أن صاحب الكبيرة لا مؤمن مطلق، بل هو في منزلة بين المنزلتين، وأول من أظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين هو وأصل بن عطاء، في حين أن الإمامية لم تعتبره أصلا على الإطلاق، بل ذهبوا إلى أن مقترف الكبيرة مؤمن لتصديقه بالله ورسوله وإقراره بما جاء به النبي ﷺ، ويرون أنه معاقب على ذنبه هذا إذا لم يحصل له أحد أمرين: عفو الله تعالى وهو مرجو، وشفاعة الرسول ﷺ وهي متوقعة لقوله تعالى: "...واستغفر لذنك وللمؤمنين والمؤمنات...، وبذلك يتفق الإمامية مع الأشعرية عموما.

أما رأي الشريف المرتضى فيظهر لنا من خلال استعراض النص الكامل للمناظرة الواردة في أماليه التي جرت بين واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد بخصوص مرتكب الكبيرة، والتي أدت في النهاية إلى تحول عمرو بن عبيد عن مذهب الحسن البصري الذي كان يقول: أن مرتكب الكبيرة فاسق، إلى مذهب واصل بن عطاء الجديد.
ولو اطلع القارئ الكريم على نص المناظرة الواردة في الأمالي لاستنتج منها أن الشريف المرتضى لم يشذ عن رأي الإمامية، إلا أن القارئ سيجد في ثانيا النص تسديد المرتضى لواصل بن عطاء في إشكاله على عمرو بن عبيد، الذي لا يكشف إلا عن فساد دليل عمرو بن عبيد ولا يقتضي تصحيح مسلك واصل بن عطاء على رأي المرتضى.
أما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو الأصل الثالث الذي انفردت به المعتزلة، وهو الذي اعتبرته الإمامية من فروع الدين لا من أصوله.

حقيقة الصلة بين التشيع والاعتزال: وحيث تبين لنا مما تقدم أن الشريف المرتضى إمامي اثنا عشري في أصوله العقائدية، علينا الآن أن نتحرى عن صحة الآراء القائلة باعتزاليته حسبما أشار إلى ذلك لفيف من المؤرخين، ومن ثم الرد عليها استنادا للحقائق.

وقبل تحقيق ذلك ولكي يكون المتتبع على بينة من الأمر لابد من إبراز حقيقة مهمة جدا طالما التبس فهمها على الكثير من الباحثين، ألا وهي حقيقة "الصلة بين التشيع والاعتزال".

١ - من المعلوم أن جل اعتماد مفكري الشيعة ومتكلمهم في تعزيز آرائهم يتجه نحو ما صرح به أئمة أهل البيتعليه السلام بشأن كل مسألة من المسائل العقائدية؛ إذ أن أئمة أهل البيتعليه السلام كانوا المنبع الوحيد الذي تستقي منه الشيعة أمورها الشرعية والعقائدية بعد النبي ﷺ، فالمعلوم أن الشيعة - وخصوصاً أصحاب الأئمةعليه السلام - كانوا يسألونهم عن كل أمر يمت بصلة إلى العقيدة والشريعة. وهذا ما تؤكدته الفكرة القائلة: "إن مذهب الإمامية يقتضي بأن الهيكل العام للتعاليم الشيعية إنما قام على ما روي من أحاديث وأخبار عن الإمام المعصوم، فمنطوق المذهب يقضي بطرد كل احتمال للتأثير الخارجي لأبل إنكاره باعتبار أن المذهب الشيعي وحدة فكرية قائمة بذاتها مستمدة من تعاليم الإمام.

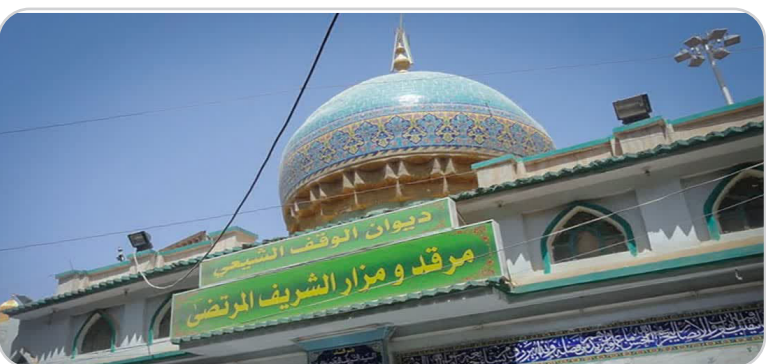
إذن، فلإمامية أفكارهم الخاصة التي أسسوا عليها أحكامهم وآراءهم في الأصول والفروع، فكما أنهم استقلوا في فروع الأحكام فكذلك هم مستقلون تماما في أصولها وفي المسائل الكلامية، ومما يعزز ما تقدم

مقالة / الجزء الثاني والأخير

«إعتزالية الشريف المرتضى» بين الوهم والحقيقة

•الدكتور رؤوف الشمري

⚠️ **الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة، بل تعبر عن رأي أصحابها**



الدين من أنه من أعلام المعتزلة.

■ المناقشة

الآن وقد علمنا أن ابن حزم هو مفتتح هذا الرأي، نقول: هل الشريف المرتضى هو الشخصية الوحيدة التي قدح فيها أو في سيرتها ابن حزم هذا؟ أم أنه كبقية العلماء الذين اتهمهم ابن حزم بالانحراف عن مبادئهم وعقائدهم؟ إليك مقالته ابن خلكان عن ابن حزم هذا لنتضح لك الأمور عن قرب.

قال ابن خلكان: "كان - ابن حزم - كثير الوقوع في العلماء المتقدمين، لا يكايد يسلم أحد من لسانه، فنفرت عنه القلوب، واستهدف فقهاء عصره، فتمائلوا على بغضه، وردوا أقواله، وأجمعوا على تضليله، وشنعوا عليه، وحذروا سلاطينهم من فتنته، ونهوا عوامهم عن الدنو إليه والأخذ منه، فأقصى الملوك وشردته عن بلده..." ثم قال ابن خلكان: وفيه قال أبو العباس بن العرين: "كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج بن يوسف الثقفي شقيقين"، وإنما قال ذلك لكثرة وقوعه في الأئمة"، انتهى كلام ابن خلكان.

وإذا كان الأمر قد خفي على ابن حزم - ومن تأثر أو نقل عنه دون تححيص ممن لم يسند مدعاه إلى حقيقة وجدها في كتب الشريف المرتضى - فيجب أن لا يخفى على الدكتور عبد الرزاق محيي الدين، وهو الذي تصدى لاستقصاء آراء المرتضى من الناحية الأدبية، فأنت إذا تصفحت الأمالي - مثلاً - وهو أكثر مؤلفات المرتضى اعتماداً من قبل الدكتور محيي الدين - وجدت أن المرتضى حينما يستعرض أية من كتاب الله فإنه يتناولها من عدة وجوه منها: اللغة، الأدب، الفقه، التفسير، والكلام.

وحيث أن الشريف المرتضى قد أوضح رأيه بكل المسائل العقائدية التي ذكرناها سابقاً، لذا كان على

الدكتور محيي الدين أن يكون موضوعياً فيما بدا له من النتائج

خلال دراسته لآراء الشريف المرتضى. ومضافاً لكل ما تقدم أنَّ الدكتور محيي الدين لم يسند مدعاه بأي دليل

يؤيد اعتزالية الشريف المرتضى، بل أنه وقع في تناقض من خلال مايلي:
أ- قال: لابد للمرتضى وهو من أعلام المعتزلة، من معرفة وجوه الكلام وتأويلاته.

ب- ثم وقع في تناقض حين صرح بأن: "المرتضى فرق بين الإمامية والمعتزلة، وقد كان المذهب الإمامي يلتقي كثيراً مع الاعتزال، حتى لقد يقل أن تجد إماميا غير معتزلي، وطالما طعن المعتزلة بالرفض، ولكنه

- المرتضى - حاول محاولات كثيرة إلى الفصل بين الاعتزال والمذهب

الإمامي، وأشار إلى مواطن التقائهم وأختلافهم.

أقول لما عَلم الدكتور محيي الدين

أن المعتزلة قد طعنوا بالرفض، وأن

المرتضى حاول محاولات كثيرة إلى الفصل بين الاعتزال والمذهب

الإمامي، وأنه أشار إلى مواطن التقائهم واختلافهم، أقول: ألم يلاحظ

الدكتور محيي الدين أن المرتضى في معرض حديثه عن مواطن الالتقاء

والاختلاف قد صرح باختلافه مع

المعتزلة في مسائل عديدة أهمها:

الإمامة، الفرق بين النبي والرسول،

الوعيد، الشفاعة، عصمة الأئمة

عليه وآفضليتهم وغيرها.

ومضافاً لكل ما تقدم أنفاً - مما

استطعنا من خلاله دحض هذه التهمة

- إليك جملة من الحقائق التي صرح

٥ - في معرض رده على ما ادعاه

القاضي عبد الجبار من أن الإمامية

قالوا بأن المعارف كلها ضرورية، قال

الشريف المرتضى: "ما نعرف فينا

أحداً - تأمل ماذا قال أنفاً - يدعي

أن المعارف كلها ضرورية، وقد كان

يجب أن لا يعتبر باعتقاد الضرورة

في المعارف من له مثل أبي عثمان

الجاحظ الذي افترض هذا الرأي

المفكر".

٦ - في معرض رده على هجوم أبي

هاشم الجبائي - حسبما نقله القاضي

عبد الجبار عنه - على هشام بن الحكم

وطبقته نحو أبي عيسى الوراق وابن

الراوندي ورمي بعضهم بالتجسيم

والبعض الآخر بالإلحاد والبعض الثالث

بالتنوية - قال الشريف المرتضى:

"أن ذلك عدول عن النظر والحجاج

إلى القذف في المذاهب وسب أهلها

وتقبيحها في النفوس بما لو صح لم

يك نقضاً لأصل المقالة ولا قادحا في

صحة النحلة".

وفي معرض دفاعه التفصيلي عن

هشام بن الحكم وما رمي به من القول

"إنه تعالى جسم لا كالأجسام"، يقول

الشريف المرتضى: "إن هذا القول

ليس بتشبيه... وأكثر أصحابنا يقولون

أنه أورد ذلك على سبيل المعارضة

للمعتزلة فقال لهم إذا كنتم تقولون إن

القديم تعالى شيء لا كالأشياء فقولوا

أنه جسم لا كالأجسام". ثم يضيف

المرتضى على ما تقدم فيقول: وليس

من عارض بشيء وسال عنه يكون

معتقداً له ومدينياً به.

ويستمر الشريف المرتضى في

دفاعه عن هشام بن الحكم من خلال

استعراضه بعض آراء شيخ المعتزلة

وتقبيحه لها فيقول: كيف لم يذكر

القاضي عبد الجبار قول أبي الهذيل

العلاف في مقدورات الله تعالى

ومعلوماته وهو قول أقيح من القول

المحكى عن هشام رحمه الله....

وقول النظام أن الله تعالى لا يقدر

على الظلم. وقوله بالمداخلة والطفرة،

وأنه لا نهاية لأجسام العالم في التجزؤ

والأعراض. وهذا مزح من التعطيل

وإلحاد بالتجاهل والعناد.

ومن النص المتقدم يتبين أن

الشريف المرتضى بعد عرضه لبعض

آراء شيوخ المعتزلة أنفاً قد استقبحها،

وعليه فلو كان ينتسب إليهم لما كان

ذلك منه، كما أنه لو كان مقتنعاً بآرائهم

لما هاجمها وإنما يعمل جهد إمكانه

الفكري لتأويلها تأويلاً يراه قريباً

للمنطق العقلي السليم.

٧- هجومه على الجاحظ من خلال

استشهاده بما جاء في بعض كتبه،

حين قال: "ومن جمع بين كتبه التي

هي العثمانية والروائية والعباسية

والإمامية والرافضة والزيدية، رأى

من التضاد واختلاف القول مما يدل

على شك عظيم وإلحاد شديد وقلة

تفكر في الدين".

٨ - في معرض رده على مآذره

القاضي عبد الجبار من عدم عد

الخوارج ضمن الإجماع، يقول

المرتضى: "وليس قوله - القاضي عبد

الجبار - أنني لا أعدهم في الإجماع

بحجة، لأن للخوارج أن يقولوا له -

للقاضي - مثل قوله بحدوث فرقته-

فرقة المعتزلة - وابتداء أصل مقالاتهم

معروف كما أن ذلك معروف في مقالة

الخوارج".

وبذلك يتبين أن الشريف المرتضى

لم يكن من كبار المعتزلة الدعاة كما

ترامى لابن حزم وليس فيه ميل أو

تظاهر في الاعتزال، كما اعتد ابن

الجوزي، ولا من أعلام المعتزلة كما

استساغها الدكتور عبد الرزاق محي

الدين.

أن ما أود ألفت النظر إليه من

الناحية المنهجية لدى محاولتنا

التفهم الموضوعي لتاريخنا الفكري

هو لزوم التحرز الشديد والترفع عن

الذاتية الضيقة، والأخذ بالموضوعية

والتمسك باليقظة التامة في دراسة

نص من النصوص وتفحصه أو

مقارنته.

وعندها نقول: أننا قد توصلنا إلى

حقيقة مؤداها أن سلامة التراث

الفكري من الاجتهادات الخاطئة

- التي لم يتثبت أصحابها تثبتاً

صحيحاً - تحقق لنا حرية التعبير في

فهم التاريخ تحققاً تظهر فيه الفكرة

العقلانية أكثر اتساقاً وأعمق جذوراً،

وأصق بطبيعة المنهج ومسائله.

انتهت

المصدر: رسالة التكريب، العدد ٢٥